تمهيد :

أخى المسلم ، أختى المسلمة :

كما هو معلوم لنا نحن المؤمنين بصفة خاصة : أن الله تبارك وتعالى قد شاءت إرادته ، واقتضت حكمته أن يرسل رسله المبشرين والمنذرين إلى بنى البشر من أول أبينا وسيدنا آدم إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام ـ لكى يؤدوا وظيفة هامة لصالح البشر أجمعين . حتى يكونوا بسبب هذا من عباد الله الحقيقيين إلى يوم الدين .

وقد قرأت ، حول هذا المعنى كلاماً هاماً للإمام الشيخ محمد عبده ، فى رسالة (التوحيد) ، قال فيها تحت عنوان :

وظيفة الرسل عليهم السلام

عن الرسل ، أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص ، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ، ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه ، ولكنها حاجة روحية ، وكل ما

لاَمَسَ الحسَّ منها فالقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو إيداعها ما فيه سعادتها فى الحياتين .

وأما تفصيل طرق المعيشة والحذق فى وجوه الكسب ، وتطاول شهوات العقل إلى إدراك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم ـ فذلك مما لادخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه ، وتقرير أن شرط ذلك كله ألا يحدث ريباً فى الاعتقاد بأن للكون إلـٰهاً واحداً قادراً عالماً حكيماً متصفاً بما أوجب الدليل أن يتصف به ، وباستواء نسبة الكائنات إليه فى أنها مخلوقة له وصنع قدرته ، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال ، وشرطه ألا ينال شىء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر فى نفسه أو عرضه أو ماله بغير ما يقتضيه نظام عامة الأمة على ما حدد فى شريعتها .

يرشدون العقل إلى الله وما يجب أن يُعرف من صفاته ، ويبينون الحد الذى يجب أن يقف عنده فى طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه ، ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة ، يجمعون كلمة الخلق على إله واحد لا فرقة معه ، ويخلون

السبيل بينهم وحده ، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به فى جميع الأعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات ، تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى ، تقوى ما ضعف منهم ، وتزيد المستيقن يقيناً.

يُبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم ، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم ، فيفصلون فى تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ، ولا تفوت به المنافع الخاصة .

يعودون بالناس إلى الألفة ، ويكشفون لهم سر المحبة ، ويُلفتونهم إلى أن فيها انتظام شمل الجماعة ، ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ، ويشعروها أفئدتهم ، يعلمونهم لذلك أن يرعى كل حق الآخر وإن كان لا يغفل حقه ، وألاّ يتجاوز فى الطلب حده ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويهدى راشدهم ضالهم ، ويُعلم عالمهم جاهلهم

يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذى تهدر

له ، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق مع بيان الحق الذى يُبيح تناوله ، واحترام الأعراض ، مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع ، ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعقود ، والمحافظة على العهود [١] ، والرحمة بالضعفاء ، والإقدام على نصيحة الأقوياء ، والاعتراف لكل بحقه دون استثناء [٢] .

يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية ، إلى طلب الرغائب السامية ، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير ، حسبما أمرهم الله جل شأنه .

يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، وما يعرضهم لسخطه عليهم ، ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده ، وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع فى محظوراته .

يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده فى العلم به [٣] مما

(١) ومنها المعاهدات مع الأجانب .
(٢) أى لا فرق فيه بين مسلم وكافر وقوى وضعيف وقريب وبعيد .
(٣) كالملائكة .. والجن وأحوال الآخرة .

لو صعب على العقل اكتناهه ، لم يشق عليه الاعتراف بوجوده .

بهذا تطمئن النفوس ، وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر ، انتظاراً لجزيل الأجر ، أو إرضاء لمن بيده الأمر ، وبهذا ينحل أعظم مشكل فى الاجتماع الإنسانى لايزال العقلاء يجهدون أنفسهم فى حله إلى اليوم [1] .....الخ .

فتلك هى وظيفة الرسل .. التى لابد أن نكون على علم بها.. والتى من أهمها ، بل أهمها أن الله تعالى قد بعثهم جميعاً من أجل هدف واحد ، هو دعوة العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذهم مُقرُّون بذلك ، وقد قال الله تبارك وتعالى مشيراً إلى هذا : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [2] .

كما قال الله تعالى مشيراً إلى إقرارهم بوجود الله واعتراضهم على عبادة الله وحده : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ [3] ، أى

---

(١) يعنى مشكل العمال وما نشأ عنه من المذاهب الفوضوية بأنواعها ، وأوربا كلها فى حيرة من تلافى هذا الأمر .. ويسهل تلافيه بالدين الإسلامى الذى فرض الزكاة وأمر بالصدقة وهدى الأنفس إلى الرضا بما قسم لها ؛ طلباً لسعادة الآخرة مع بذل الجهد فى السعى .

(٢) النحل : من الآية : ٣٦ .

(٣) الأعراف : من الآية :٧٠ .

لنفرده بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا ؟ ..

فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه ـــ سبحانه ـــ وتبين أن هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل ، وأن التقرب إليهم باطل ، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده .. وهذا توحيد العبادة ، وقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ، وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده .

ومن هذا نعرف أن التوحيد الذى دعتهم إليه الرسل من أولهم ـ وهو سيدنا نوح عليه السلام [1] ـ إلى آخرهم ـ وهو محمد ﷺ ـ هو توحيد العبادة ؛ ولهذا تقول لهم الرسل : ﴿ أَنْ لَّا نَعْبُدَ وَاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [2] ، ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [3] .

وقد كان المشركون ، منهم : من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم : من يعبد أحجاراً ـ وهى الأصنام التى كانت تعبد من دون الله وحده ـ ويهتف بها عند الشدائد ، فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، بأن يفردوه بالعبادة ،

(١) ليس أول الرسل نوحاً ، بل آدم عليه السلام ، وإنما نوح أولهم بعد الطوفان ..

(٢) هود : من الآية : ٢٦ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٥٩.

كما أفردوه بالربوبية ، أى بربوبية السماوات والأرض ، وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة : (لا إله إلا الله) معتقدين لمعناها ، عاملين بمقتضاها ، وألا يدعوا مع الله أحداً .

.. هذا ، وإذا كنا قد وقفنا على هذا التمهيد الذى أردت به أن نعرف (**وظيفة الرسل**) حتى نعرف من خلال هذا العرض السريع ـ مدى ما تحملوه من مسئوليات حتى بلغوا رسالات الله تعالى بكل صدق ، وصبر ، وإخلاص :

.. فإننى أحب أن أذكر بعد ذلك ، بأنه يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الله تعالى قد أرسل لعباده أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، الذى يقول مخاطباً حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (١) .

وأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ، أرسله الله تعالى للإنس والجن كافة ، قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٢) ، وقال : ﴿وَمَا

(١) سورة غافر : من الآية : ٧٨ .

(٢) الأحزاب : من الآية ٤٠ .

﴿ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ [2] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [4] .

وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، قال : انطلق رسول الله ﷺ إلى البَرَاز [5] فخطّ خطًّا وأدخلنى وقال : لاتبرح

---

(١) سبأ : من الآية ٢٨ .

(٢) وقد قالوا هذا لأنهم كانوا من أتباع سيدنا موسى ، وقيل : لأن الإنجيل كان مكملاً للتوراة .. والله أعلم .

(٣) الأحقاف : من ٢٩ – ٣١ .

(٤) الجن : الآيتان : ١ و ٢ .

(٥) البَرَاز بفتح الباء هو فى الأصل الفضاء الواسع الخالى من الشجر ، ثم كنى به عن الخارج من الدبر .

حتى أرجع إليك . ثم أبطأ فما جاء حتى السحَر ، وجعلتُ أسمع الأصوات ، ثم جاء ، فقلت : أين كنتَ يارسول الله ؟ قال : أُرسلتُ إلى الجن . فقلت : ما هذه الأصوات التى سمعتُ ؟ قال : هى أصواتهم حين ودَّعونى وسلَّموا عليَّ . أخرجه الطحاوى .

وقال علقمة : قلت لابن مسعود : هل صحبَ النبىَّ ﷺ ليلة الجن منكم أحدٌ ؟ قال : ما صَحِبهُ منا أحدٌ ، ولكن قد افتقدناه ذاتَ ليلة وهو بمكة ، فقلنا اغْتِيلَ أو استُطير [1] ما فُعِل به؟ فبِتنا بِشَرِّ ليلة بات بها قوم ، حتى إذا أصبحنا أو كنا فى وجه الصبح ، إذا نحن به : يجىء به من قِبَلِ حراء . قال : فذكروا الذى كانوا فيه . فقال : أتانى داعى الجن ، فأتيتهم فقرأتُ عليهم ، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل عظم ذُكِرَ اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً [2] ، وكلُّ بعرة أو روثة علفٌ لدوابكم . فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن**) .

---

(١) (اغتيل) بصيغة المجهول أى قتل سِرًا (واستطير) بصيغة المجهول أى : طارت به الجن .

(٢) هذا لمؤمنيهم ، وأما غيرهم فطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه كما فى رواية الترمذى

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح .

.. وبعد ـ أخا الإسلام ـ فهؤلاء هم رسل الله ، وهذا هو خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .. الذين يجب عليك بصفتك مكلفا أن تعرف الصفات الواجبة لهم ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام .

وأن تعرف كذلك العدد المذكور منهم فى القرآن ، وهم : خمسة وعشرون .. كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله :

حَتماً على كُلِّ ذى التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قدْ عُلموا
فى تلك حجتنا [1] منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وَهُمُو
إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، وكذا
ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد خُتِموا

---

(١) أى من أول قوله تعالى (وتلك حجتنا) إلى قوله : (وكُلاً فضلنا على العالمين) ، بسورة الأنعام ، الآيات : ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ .

إلى آخر تلك الأخبار والآثار المتعلقة بهم ،والتى ينبغى عليك بصفتك مسلما مكلفا أن تكون على علم بها ...

.. ولهذا ، فقد وضعتُ بين يديك أهم هذا الذى أشرتُ إليه، والذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً به ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا .. فإليك [1] أولا بعض الأساسيات التى أرى أنه من الضرورى ـ إتماما للفائدة ـ أن تقف عليها كدراسة لهذا الموضوع الأساسى الذى ندور حوله .

التعريف بالرسل وطبيعتهم وحاجة الناس إليهم

فحول هذا العنصر الهام الذى ينبغى أن يكون موضع دراسة ـ يقول الإمام محمد عبده ، رحمه الله :

(الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان ، فيجب الاعتقاد بأن الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه ، قاموا بتبليغ أممهم ما أمرهم ـ الله ـ بتبليغه من تنزيه لذاته ، وتبيين لسلطانه القاهر على عباده ، وتفصيل لأحكامه ، فى فضائل

(١) كما قرأته فى النشرة رقم ٥٥ (لوزارة الأوقاف المصرية) عام ١٩٧٠ م .. بتصرف وإيجاز .

الأعمال ، وصفات يطالبهم بها ، وفى مثالب فعال (نقائص فعال) ، وخلائق ينهاهم عنها ، وأن يعتقد بوجوب تصديقهم فى أنهم يبلغون ذلك عن الله ، ووجوب الاقتداء بهم فى سيرهم ، والائتمار بما أمروا به ، والكف عما نهوا عنه .

كما يجب الإيمان بأن الرسل مؤيدون من العناية الإلـٰهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية ، وأن هذا الأمرَ الفائق لمعروف البشر هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه . فمتى ادعى الرسول النبوة ، واستدل عليها بالمعجزة ـ وجب التصديق برسالته .

ومن لوازم ذلك بالضرورة : وجوب الاعتقاد بِعُلُوِّ فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وصدقهم فى أقوالهم ، وأمانتهم فى تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه ، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، وأنهم منزهون عما يضاد شيئًا من هذه الصفات المتقدمة ، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلـٰهى بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية .

أما فيما عدا ذلك ، فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراد البشر ، يأكلون ويشربون وينامون ويسهرون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، ويمرضون ، وتمتد إليهم أيدى الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وقد يُقْتَلُون . (١)

(رسالة التوحيد : ص ٨٢ ، ط دار المعارف)

بشرية محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بشراً قبل أن يبعثه الله رسولاً ، له طبيعة البشر ، يأكل ويشرب ، ويصحو ويرقد ويغضب ويفرح ، إلى غير ذلك من أعمال البشر .

ولقد أنكر الكفار قديماً على رسُلِ الله أن يكونوا مثل الناس يأكلون وينكحون ويمشون فى الزحام ، وكذلك قال كفار قريش فى رسول الله ﷺ :

١ ــ قال تعالى : ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا

(١) ولسوف نناقش كل هذا بالتفصيل .. إن شاء الله ..